

الدرس الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

الحديث التاسع عشر

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي " يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف "

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وفي رواية غير الترمذي " احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً "

الشرح..

هذا الحديث حديث عظيم جامع في باب الاعتقاد والإيمان بالله عز وجل وحسن التوكل عليه سبحانه والثقة به وتفويض الأمور إليه ، واعتقاد أن الأمر كله بيده عطاءً ومنعاً وخفضاً ورفعاً وعزاً وهدايةً وضاللاً ؛ فالأمر كله بيد الله ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والأمور كلها بقضائه وقدره ، كتب جل وعلا مقادير الخلائق ، ورفعت الأقلام وجفت الصحف .

فهذا الحديث حديث جامع ينبغي على كل مسلم أن يُعنى به حفظاً وفهماً وعملاً ليسعد في دنياه وأخراه ، وكثير من الأخطاء والخلل الذي يقع فيه كثير من الناس ناشئ عن الجهل بمثل

هذا الحديث العظيم ونظائره من الأحاديث التي تُقرر أصول الاعتقاد ، وتبين أساس الدين ، وتربط الناس بالله تبارك وتعالى اعتقاداً وإقراراً وثقةً وإيماناً .

وهذا الحديث ينبغي أن يتعلمه الصغار والكبار على حدٍ سواء ، وأن يُعنوا بمعرفته ، وينبغي على الآباء وأولياء الأمور والمعلمين في المدارس والمعتنن بالتربية ؛ ينبغي على هؤلاء جميعاً أن يعتنوا بإيصال هذه الكلمات التي اشتمل عليها هذا الحديث إلى الناشئة ذكوراً وإناثاً ، وأن يغرسوا فيهم هذا الغرس المبارك ، وأن يحرصوا على تنشأتهم نشأة الإيمان وحسن الصلة بالله تبارك وتعالى .

وانظر جمال البيان وحسن التوجيه وتمام النصيحة ، وانظر أيضاً بالغ اللطف وحسن التودد في خطاب النبي عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما ، وهو من غلمان الصحابة فيتوجه إليه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا النصائح ؛

قال رضي الله عنه " كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي يا غلام إني أعلمك كلمات " ..

وهذه الطريقة طريقة لطيفة جداً ونافعة في التعليم ولا سيما في تعليم الصغار ؛ فالصغير يحتاج منك قبل أن تبين له ؛ أن تشده إلى ما ستبينه له ، وأن تتلطف معه لطفاً يفتح به قلبه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام بدأ معه بقوله " يا غلام إني أعلمك كلمات " ؛ مثل هذا لو أنك أردت أن تنصح صغيراً بنصيحة وقلت له " يا بني عندي لك كلمات " ، " أريد أن أذكر كلمات " ، " عندي لك نصيحة نافعة " ، " عندي لك وصية جامعة " ... ؛ فهذه التقديمة تهيئ قلب هذا الصغير لحسن السماع وتمام الاستيعاب .

قال " إني أعلمك كلمات " : أي فاحفظهن ، واعتني بهن واحرص على فهمهن وتطبيقهن حياتك تسعد في دنياك وأخراك .

أيضاً قوله " كلمات " : فيها تهيئة للمخاطب بأن ما سيذكر له جمل عديدة تحتاج إلى تركيز وانتباه حتى تُضبط وتُحفظ ؛ فهذا يعطي معنى طلب التركيز وحسن الانتباه وضبط ما يلقي من كلمات .

قال " احفظ الله يحفظك " : وهذه الكلمة الأولى والجملة الأولى ، ذكر عليه الصلاة والسلام مطلوباً وذكر أيضاً جزاء وثواب هذا المطلوب ؛ وهذا من حسن البيان وتمام الوعظ والنصيحة أن يُرغب الإنسان في الخير ، وأن تُذكر له الثمرة والثواب والعائد.

قال " يحفظك " : هذا فيه أن الجزء من جنس العمل ؛ وهذه قاعدة شرعية دل عليها القرآن والسنة ؛ {إن تنصروا الله ينصركم} ، { فاذكروني أذكركم } ، {أوفوا بعهدي أوف بعهدكم} ، " احفظ الله يحفظك " . فالجزء من جنس العمل {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} ؛ وهنا العمل المطلوب الحفظ - قال "احفظ الله" - .

" احفظ الله " : المراد بحفظ الله أي بحفظ حدوده ؛ قال تعالى {والحافظون لحدود الله} ؛ بحفظ أوامره ، بحفظ نواهيه ، بحفظ ما أمرك الله سبحانه وتعالى به ، والعناية بالعمل به وتطبيقه ، وأيضاً بالبعد عن ما نهاك الله سبحانه وتعالى عنه ؛ ولهذا الحفظ المطلوب هنا "احفظ الله" ؛ يكون في الأوامر ، تحفظه سبحانه في أوامره ؛ بأن تحرص على فعلها والقيام بها وتطبيقها ، وأيضاً يتناول الحفظ بالبعد عن النواهي والمحرمات وتركها والحذر من الوقوع فيها والمبادرة إلى التوبة النصوح ، ويكون أيضاً في المصائب بتلقيها بالصبر والرضا والعلم بأنها من عند الله تبارك وتعالى ، وأن ما أصاب من مصيبة فيأذنه جل وعلا فيرضى المؤمن ويسلم ، فالحفظ هنا في قوله " احفظ الله " يكون في جانب الأوامر وجانب النواهي وأيضاً في المصائب المؤلمة . ولهذا تجد آيات كثيرة وأحاديث عديدة فيها الأمر بمثل هذا الحفظ لحدود الله مثل قوله الله سبحانه وتعالى {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} ، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام " لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن " ، وفي الحديث ذكرت الصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة " ، وقال جل وعلا : {هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ} أي أن نُزِّلَهُ الكريم وثوابه العظيم أعده جل وعلا لكل أواب حفيظ ، وقيل في معنى الحفيظ في هذه الآية أي الذي حفظ أوامر الله فاعتنى بفعلها وتطبيقها والمحافظة عليها والاستقامة على طاعة الله جل وعلا ، وقيل المراد بالحفيظ أي الذي يحفظ ذنوبه ؛ وهذا أمرٌ ما أكثر ما يُعفل عنه أن يحفظ ذنوبه التي وقعت منه ليتوب من تلك الذنوب ؛ لأن الذنب إن نسيه وتركه ولم يتب إلى الله سبحانه وتعالى منه يجده يوم القيامة محصى عليه ومكتوباً مدوناً { أحصاه الله ونسوه } ؛ فيحفظ ذنبه ليتوب منه توبة نصوحاً ؛ بأن يندم على فعله وأن يقلع عنه وأن يعزم على أن لا يعود إليه ثانية .

وأيضاً يتناول قوله " احفظ الله يحفظك " : يتناول حفظ الله بالابتعاد عن ما نهى الله عنه مثل ما قال عليه الصلاة والسلام " من حفظ ما بين فكيه وما بين فخذه دخل الجنة " ؛ حفظ لسانه وحفظ

فرجه ؛ والله يقول {والذين هم لفروجهم حافظون } أي حافظون لها عما حرم الله { إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون } ؛ ومن هذه الآية استدلل أهل العلم على حرمة الاستمناء ؛ لأن هذا مما وراء ذلك فهو من فعل العادين الذين لم يحفظوا فروجهم ؛ فمن الحفظ المطلوب هنا أن تحفظ الله بالبعد عن ما نهاك عنه وعدم ارتكاب المحرمات ، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام " الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى " ؛ فالرأس فيه السمع والبصر واللسان ؛ فحفظ الرأس وما وعى يكون بحفظ هذه الحواس عن الحرام ؛ فتغض بصرك وتصون لسانك وتحفظ سمعك عن كل أمر يسخط الله تبارك وتعالى ؛ فهذا مما هو داخل في حفظ الله ؛ فلا ينطق اللسان بحرام وباطل قال عليه الصلاة والسلام " وهل يكب الناس على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " ، ويحفظ السمع من الباطل ، ويحفظ البصر من الباطل ، والبصر والسمع هما اللذان منهما ترد الواردات على القلب . المنفذ الذي ترد منه الواردات على القلب . من السمع ومن البصر ؛ فيحفظ سمعه ويحفظ بصره .

قال "وأن تحفظ البطن وما حوى " : وأعظم ما حواه البطن وجوف الإنسان القلب ؛ فيحفظ قلبه ويبيعه عن كل الأمراض والأسقام التي تكتنف القلوب ، ويحرص على أن يكون قلبه قلباً سليماً يجتهد في صونه عن كل أمراض القلوب وأسقامها من غل أو حقد أو نفاق أو غير ذلك ويستعين بالله جل وعلا ويسأله تبارك وتعالى أن يصلح قلبه ، فهذا من حفظ البطن .

وكذلك يحفظه من أن يدخل في بطنه الحرام شرباً أو أكلاً ؛ فكل ذلكم داخل في عموم قوله احفظ الله؛ بالبعد عن المحرمات وعن الآثام وعن كل ما يسخط الله تبارك وتعالى . كذلك يدخل في الحفظ الصبر عندما يصاب الإنسان بالمصائب فيحفظ لسانه من التسخط ويده من لطم الخدود أو شق الجيوب وقلبه من الجزع ، ويكون صابراً راضياً محتسباً عالماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمور كلها بقضاء الله تبارك وتعالى وقدره ؛ فهذا كله مما يتناوله قوله النبي صلى الله عليه وسلم "احفظ الله" ثم النتيجة : " يحفظك " قوله "يحفظك" تشمل أمرين :

الأمر الأول : يحفظك أي في دنياك بأن تُمتنع بهذه الحواس وأن تُكرم ؛ بأن تكون هذه الحواس باقية محفوظة سليمة تنتفع بها فيما فيه فلاحك وسعادتك في دنياك وأخراك.

" احفظ الله يحفظك " : يحفظك في سمعك ، يحفظك في بصرك ، يحفظك في لسانك ، يحفظك في قواك ، يحفظك في حواسك ؛ تبقى ممتعاً بها ؛ وهذا جزاء من جنس العمل ، وفي الدعاء المأثور : " ربنا متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أبقيتنا واجعله الوارث منا " أي تمتعنا بهذه الحواس اجعله باقياً معنا مستمراً إلى الوفاة ؛ وهذه من ثمرة حفظ الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا يذكر أهل العلم . أخذاً من هذا الحديث وغيره وأخذاً من القاعدة أن الجزاء من جنس العمل . ؛ أن من حفظ عقله على سبيل المثال بالعلم وحفظ القرآن والفقه في الدين يكرمه الله سبحانه وتعالى ببقائه ممتعاً بعقله إلى أن يموت إلى آخر لحظة من حياته ولو تجاوز المائة ؛ ولهذا قيل العالم لا يخرف . لا يصاب بالخرف . . ، وإذا أُصيب العالم بشيء من ذلك الخرف ؛ تجده يتكلم في مسائل علمية تتردد على لسانه ؛ مثل أحد أهل العلم الأكابر . كما يذكر أحد أبناءه . في أيامه الأخيرة كان يتكلم كلاماً ربما لا يعيه لكن كل كلامه في أمور الدين وأمور العلم ؛ فيقول ابنه : " لم نسمع منه شيئاً إلا من هذا الباب " .. ؛ فهذا حفظ الله سبحانه وتعالى عليه عقله إلى آخر لحظة .. ، الإمام الجليل ابن باز رحمه الله عليه قبل وفاته بساعات قلائل أفتى بعدة فتاوى في الطلاق ، والطلاق مسائله دقيقة جداً !!

فإذا حفظ الإنسان عقله بالعلم والفقه والبصيرة والقرآن ؛ يكرمه الله سبحانه وتعالى في كبره بأن يحفظ عليه عقله . وكذلك إذا حفظ بصره وحفظ سمعه وحفظ حواسه ، يذكر بعض أهل العلم المتقدمين أن رجلاً من أهل العبادة وعمره جاوز المائة ، وكان على طرف سفينة فقفر قفزة شاب منها إلى الأرض ؛ فلاموه في ذلك فقال : " الحمد لله هذه أعضاء حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، فهذا كله داخل في الحفظ الديني .

والجانب الآخر ، الحفظ الديني : وهذا من ثواب الحسنة كما يقال الحسنة بعدها ؛ فإذا جاهدت نفسك على حفظ حواسك بفعل الخير والبعد عن الحرام حفظها الله لك بأن سدّدك ووفّقك وهداك وثبتك على الاستقامة بأن تمضي مستعملاً هذه الحواس في الخير وفيما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

والعبد في هذا الباب لا بد له من حسن الصلة بالله جل وعلا وحسن التوجه إليه حتى يوفق للحفظ وحتى يُحفظ ؛ ولهذا كان عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن عمر لا يدع أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى " اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم آمن روعاتي واستر عوراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي " ، ومن الدعاء المأثور كذلك " اللهم احفظني بالإسلام قائماً اللهم احفظني بالإسلام قاعداً اللهم احفظني بالإسلام راقداً ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً " ؛ فالعبد يجتهد في حفظ حدود الله جل وعلا فعلاً للمأمور وتركاً للمحذور وصبراً على المقدور ، ويستعين في ذلك كله بالله يطلب منه عوناً ومدة وتوفيقه سبحانه وتعالى .

وينال الثمرة بأن يحفظك في دنياك ، ويحفظك أيضاً في دينك ؛ ثم تأتي الثمرة يوم القيامة لهؤلاء الذين قاموا بهذا الحفظ لحدود الله كما قال جل وعلا { هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد } .

" احفظ الله تجده تجاهك " : أعاد عليه الصلاة والسلام الوصية ثم ذكر ثمرة أخرى وما أعظم الثمار وأكثر العوائد التي يجنيها من حقق هذا الحفظ .

" تجده تجاهك " - وفي الرواية الآتية تجده أمامك - ؛ والمعنى تجده تجاهك أو أمامك حافظاً ومسداً ومؤيداً ومعيناً وناصرًا ، تجده أمامك بحفظه وتوفيقه وتسديده . ونضير هذا ما جاء في الحديث القدسي قال الله جل وعلا " ما تقرب عبدي إليّ بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه " ؛ فقله " كنت سمعه .. كنت بصره .. " : أي كان الله سبحانه وتعالى مسداً له في سمعه وفي بصره وفي يده وفي قدمه وفي سائر حواسه .

" إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " : أي لا تتجه في سؤالك وطلبك إلا إلى الله سبحانه وتعالى ، والنبي عليه الصلاة والسلام عندما أوصى أصحابه رضي الله عنهم بذلك ونهاهم عن السؤال كان بعضهم إذا سقط سوطه وهو على بعيره لا يطلبه من أحد ؛ بل ينزل بنفسه ويأخذه من شدة لزومهم لوصية النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وهذا الجانب جانب مستحب ومندوب إليه ، وأما سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ فهذا شرك بالله عز وجل أو سؤال الميت المقبور أو سؤال

الغائب أو سؤال الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ فهذا كله من الشرك بالله الناقل من الملة سواء سأل ميتاً أو سأل غائباً أو سأل حاضراً فيما لا يقدر عليه إلا الله هذا كله م الشرك بالله . وهنا قال " إذا سألت فاسأل الله " ؛ أي لا تتجه في سؤالك ورغبك إلا لله سبحانه وتعالى الذي بيده العطاء والمنع والخفض والرفع والبسط والعز والذل والغنى والفقر والهداية والضلال ؛ كل ذلك بيده تبارك وتعالى .

قال " وإذا استعنت فاستعن بالله " : أي لا تطلب العون على قضاء أي مصلحة من مصالحك الدينية أو الدنيوية إلا من الله جل وعلا لأنه وحده تبارك وتعالى المستعان ، وحده تبارك وتعالى الموفق ، والأمر بيده جل وعلا .

قال عليه الصلاة والسلام " يا معاذ إني أحبك فلا تدعن دُبر كل صلاة أن تقول " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " ؛ فالعون والتوفيق والهداية والسداد ؛ كل ذلك بيد الله سبحانه وتعالى لا شريك له .

وقوله " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " : جمع بين الغاية وبين الوسيلة كما هو في قوله تبارك وتعالى {إياك نعبد وإياك نستعين} ؛ إياك نعبد : غاية ؛ قال تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} . وقوله إياك نستعين : وسيلة ، فلا يمكن لك أن تحقق الغاية - التي هي العبادة - إلا بهذه الوسيلة وهي عون الله لك ، إذا لم يكن عونٌ من الله فلا تستطيع . كان الصحابة يقولون : لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا ؛ والله جل وعلا يقول {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء} ، ويقول {ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة} .

إذاً قوله {إياك نعبد وإياك نستعين} جمع بين الغاية التي هي العبادة ، والاستعانة التي هي الوسيلة ، وقوله إياك نعبد: تحقيق ل لا إله إلا الله .

وقوله إياك نستعين : تحقيق ل لا حول ولا قوة إلا بالله .

" إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " أي لا تلجأ في سؤال أو استعانة لأحد من المخلوقات بل الجأ إلى الله وحده ، ومما يعينك على ذلك أن تعلم الآتي ذكره :

" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك " الأمة أي جميع الناس لو اجتمعوا

على نفعك بشيء قلّ أو أكثر لا يستطيعون ولا يملكون لك نفعاً إلا بشيء كتبه الله لك، ان كان الله كتب لك ذلك النفع حصل وإلا لو اجتمع من على الأرض لينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لا يمكن { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده }، { إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } عطاءً ومنعاً ، وخفضاً ورفعاً ، وخفضاً وبسطاً ، يقول تعالى { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير } فلو اجتمع م عليها لنفع الانسان بشي لم يكتبه الله له لا يمكن أن يقع ، ولو اجتمع من عليها لإيقاع مضرّة على الإنسان لم يكتبها الله عليه لا تقع ولو كادت له السماوات والأرض ومن فيهن لا يمكن أن تقع إن لم تكتب وإذا فهم المسلم هذا الأصل العظيم والأساس المتين قويت صلته بالله تبارك وتعالى وتوكله عليه ، وكان من أقوى الناس إيماناً ومن أصلحهم عقيدة ، لكن انخراط العقيدة وضعفها والتعلقات الباطلة للمخلوقين ممن لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ناشئاً من هذا الخلل ، وعدم فهم هذا الأصل العظيم الذي بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك " .

" رفعت الأقلام وجفت الصحف " : أي بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فالأمور مكتوبة ومقدرة؛ " إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " وفي الحديث الآخر قال " أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة " ؛ هذا معنى قوله رفعت الأقلام وجفت الصحف ؛ أي بمّ هو كائن إلى يوم القيامة ، وإذا آمن العبد هذا الإيمان ورسخ في قلبه هذا الاعتقاد ؛ أصبح افتقاره إلى الله وحده، والتجاءه إلى الله وحده، وتوكله على الله وحده، وسؤاله لله وحده، ورجاؤه من الله وحده، وخوفه من الله وحده، وطمعه بما عند الله وحده، والتجاءه إلى الله وحده ؛ فالعقيدة كلها تصلح ، لكن إذا اختل الإيمان بهذا الأصل العظيم وقع الخلل ، وأصبح يلتجئ بعض الناس إلى مقبور أو إلى شجر أو إلى حجر أو يتعلق بصدف أو ودع أو خرز أو غير ذلك من الالتجاءات الباطلة والضلالات العظيمة التي يقع فيها كثير من الناس بسبب الخلل في هذا الأصل العظيم ؛ ولهذا نصح عدد من أهل العلم بتدبر هذا الحديث ، وابن الجوزي رحمه الله - نقله عنه الإمام بن رجب في جامع العلوم والحكم - له كلام عظيم جداً في تعظيم هذا الحديث ،

وله في ذلك عبارة جميلة ؛ وفيها يقول : تدبرت هذا الحديث فكاد عقلي يطيش ..أو كلام قريب من هذا المعنى .

وفي رواية غير الترمذي - لهذا الحديث - قال " احفظ الله تجده أمامك " : والمعنى أنك تجده لك حافظاً معيناً مؤيداً موفقاً ، ويكون معك المعية الخاصة التي اختص بها جل وعلا عباده المؤمنين وأوليائه المقربين .

" تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " : أي احرص على أن تكون على معرفة بالله عز وجل وصلة به في رخائك وفي صحتك وفي حال غناك وفي عافيتك وفي يسرك وفي ارتياحك ، فكن في مثل هذه الحال على صلة قوية بالله .

" يعرفك في الشدة " : عندما تصيبك وتشدد بك الكربات أو ينزل بك شيء من النوازل والمصائب أو نحو ذلك ؛ تجد الله سبحانه وتعالى معك حافظاً ومعيناً ومسدداً وموفقاً .

" واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك " : هذا أصل عظيم في هذا الباب ينبغي على المسلم أن يعقله وأن يتدبره .

إذا أصيب الإنسان بمصيبة أو بأمر يكرهه ؛ فلما الجزع والتسخط وعدم الرضا ؟ لأن ما أصابك لم يكن ليخطئك و أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك لأن الأمور بقدر ، " كل شيء بقدر حتى العجز والكيس " كما قال عليه الصلاة والسلام . فالأمور كلها قدرها الله وكتبها سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ ؛ ولهذا في الحديث الآخر قال " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ولا وتقل لو أتي فعلت كذا لكان كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل قدر الله وما شاء فعل " . وهذا معنى قوله هنا "اعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك " أي ما قدره الله يقع ؛ ولهذا قال بعض أهل العلم أخذاً من هذا الحديث ؛ قال : " الإيمان بالقضاء والقدر يطرد الهم والحزن " ؛ لأن الأمور المكتوبة والمقدرة لا بد أن تقع { ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه } قال علقمة : " هي المصيبة تصيب المسلم فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم " .

فالمسلم على اعتقاد تام ويقين راسخ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ ولهذا لا تراه يتلقى المصيبة بجزع أو بتسخط ؛ بل لا تجده يتلقاها إلا بالصبر ، وإن

قوي إيمانه بهذا الباب تلقاها بالرضا ، وإن زاد الإيمان تلقاها بالشكر لله تبارك وتعالى ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك .

والشيطان أحياناً يفتح على الإنسان عند المصاب أموراً كثيرة تضعف إيمانه بالقدر ؛ يُقدّر عليه حادث ؛ فيبدأ الشيطان يفتح عليه باب "لو" ؛ لو أنك ما جئت من هذا الطريق ، لو أنك ذهبت من الطريق الفلاني ، ولو .. ولو .. إلى أن يشغله بهذا - الذي هو عمل الشيطان - عن الإيمان بالقدر ؛ ولهذا أرشد عليه الصلاة والسلام أن يقال في مثل هذه الحال فوراً " قدّر الله وما شاء فعل " ، لماذا عندما تصاب يشرع أن تقول مباشرة قدّر الله وما شاء فعل ؟ .. حتى تستحضر هذا الأمر - أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليصيبك . فإذا استحضرت هذا الأصل وقلت قدر الله وما شاء فعل ؛ حصل الإيمان ، حصل الصبر ، حصل الرضا .. ، ولم تقع في شيء من الجزع أو التسخط أو نحو ذلك من الأمور التي هي من أعمال الجاهلية .

واعلم أن النصر مع الصبر : انتبه لتكرر قوله عليه الصلاة والسلام " اعلم " ؛ وهذه كلمة تنبيه يؤتى بها بين يدي الأمور العظيمة التي يحتاج شد الانتباه إليها وحسن الإصغاء ؛ من ذلك قول الله تعالى { فاعلم أنه لا إله إلا الله } ؛ فيؤتى بها بين يدي الأمور العظام الجليلة المهمة حتى يشد الانتباه وينتهي الإنسان إلى حسن الاستماع .

" واعلم أن النصر مع الصبر " : أي أن الله عز وجل كتب حصول النصر وتحقيقه للصابرين ؛ لأن الله سبحانه وتعالى مع الصابرين حفظاً وتأييداً وتسديداً ونصراً ؛ ولهذا قال " واعلم أن النصر مع الصبر " فالذي يصبر ويحتسب يحمده العاقبة بإذن الله تبارك وتعالى .

وقوله " النصر مع الصبر " : النصر أوسع من أن يكون المراد به النصر على الأعداء في مقاتلتهم ؛ بل هذا يشمل ذلك ويشمل غيره لأن الباب أوسع من ذلك . فبالصبر والمجاهدة يتحقق للعبد الانتصار ، ينتصر على نفسه لأن النفس تحتاج إلى مجاهدة ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } ، الشيطان يحتاج إلى مجاهدة بالبعد عن إغوائه وصدده عن سبيل الله ، بالاستعاذة بالله منه ؛ فباب المجاهدة باب واسع وكله يحتاج إلى صبر .

" وأن الفرج مع الكرب " : أي فرج الله وتيسيره عندما يحصل الكرب ويشد ؛ ولهذا قيل :
" ضيقي تنفرجي " ؛ فإذا ضاقت الأمور ، وربما ظن الإنسان أن الأمر أُغلق تماماً يأتي الفرج
من الله سبحانه وتعالى ؛ فإذا حصل الكرب واشتد فالفرج قريب .
وهذا فيه لفظة عظيمة للمؤمن أنه إذا اشتد به الكرب عليه أن لا يقنط ؛ بل عليه أن تقوى
ثقته بالله وظنه أن الفرج قريب { أمن يحجب المضر إذا دعاه ويكشف السوء } .
" وأن مع العسر يسراً " : وهذا نضير ما قبله ؛ فعندما تتعسر الأمور على الإنسان وتضيق
الأحوال ؛ يأتي التيسير منه تبارك وتعالى لعبده المؤمن .
فهذا الحديث تضمن واشتمل على مضامين عظيمة ، ودلالات عديدة مفيدة ، ينبغي أن
يعنى بها كل مسلم ، وينبغي أن يكون هناك تواصل وتعاون على حفظ هذا الحديث ونشره
بين الشباب والناشئة وشدهم إلى حفظ هذا الحديث ، والعمل بمضامينه .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى :

[وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين حتى قال بعض
العلماء . يقصد ابن الجوزي في أحد كتبه . تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا
أسفى من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه] .

قال الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله :

[الأول قوله " احفظ الله يحفظك " أي احفظ حدود الله بامتنال وأوامره واجتناب نواهيه
وتصديق الأخبار وعبادته وفقاً لما شرع لا بالأهواء والبدع يحفظك الله في أمور دينك ودنياك
جزاءً وفاقاً ، أي أن الجزاء من جنس العمل ؛ فالعمل حفظ والجزاء حفظ] .

الشرح..

المراد بقوله " احفظ الله يحفظك " أي بحفظ حدود الله ... ولهذا ينبغي أن يُعلم هنا أن من
يعبد الله بالبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا قام عليها دليل في الكتاب ولا في السنة ؛
هذا ليس مما تتناوله هذه الوصية بقوله " احفظ الله يحفظك " ؛ بل هذا من الضياع ليس من
حفظ حدود الله ، وأرباب البدع وأهل المحدثات مضيعون لحدود الله لأنهم أضاعوا شرع الله

بارتكاب البدع ؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى { قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا } ؛ ولهذا من حفظ الله وحفظ حدوده؛ أن يكون التقرب إليه سبحانه وتعالى وفق هديه جل وعلا ووفق ما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله "حفظ الله يحفظك": العمل حفظ ، والجزاء حفظ ، وحفظ الله عز وجل لعبده ديني ودنيوي - كما سبق بيان ذلك وتقريره - .

[ثانياً : قوله " احفظ الله تجده تجاهك " : تجاهك بمعنى أمامك - كما في الرواية

الأخرى - " احفظ الله تجده أمامك " ؛ والمعنى تجده يحوطك ويرعاك في أمور دينك ودنياك

الشرح..

معنى قوله تجده تجاهك أو أمامك أي تجده موفقا مسددا معيا تجده معك معينا وناصرًا ثالثاً : قوله " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " ؛ هذا مطابق لقوله تعالى {إياك نعبد وإياك نستعين}؛ فإن سؤال الله دعاء، والدعاء هو العبادة ، والمعنى أن المسلم يعبد الله وحده ويسأله قضاء حاجته ، ويستعين به في جميع أموره الدينية والأخروية ، ويأخذ بالأسباب المشروعة، ويسأل الله أن ينفع بالأسباب كما قال صلى الله عليه وسلم " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " رواه مسلم [.

الشرح..

قوله " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " : في الجمع - كما تقدم ذكره - بين الغاية والوسيلة ؛ الغاية وهي العبادة ؛ لأن السؤال عبادة ، قد قال عليه الصلاة والسلام "الدعاء هو العبادة" ، والوسيلة هي عون الله تبارك وتعالى وتوقيفه ؛ ولهذا جمع بين الأمرين ، كما جمع بينهما في قوله {إياك نعبد وإياك نستعين}، وفي قوله {فاعبده وتوكل عليه} ، وفي قوله في الحديث " احرص على ما ينفعك واستعن بالله " .

[رابعاً : قوله " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك " إلى قوله " رفعت الأقاليم وجفت

الصحف" بعد أن ذكر أن السؤال لله وحده والاستعانة بالله وحده ؛ أخبر أن كل شيء بيده ،

وأن لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وأن كل شيء لا يخرج عن إرادته ومشئته ، وأن العباد لا يمكنهم أن ينفعوه بشيء لم يقدره الله ولا أن يضرروه بشيء لم يقدره الله ، وأن كل شيء يقع أو لا يقع سبق به القضاء والقدر ؛ ولهذا قال " رُفعت الأقلام وجفت الصحف " أي أن كل كائن قد فُرج منه وكتب ولا بد من وقوعه والمراد برفع الأقلام وجفاف الصحف الانتهاء من كل شيء مقدر بكتابته في اللوح المحفوظ فلا بد أن يقع وفقاً لما قُدر ، وهذه الجملة فيها إثبات الإيمان بالقدر ، وهو أحد أصول الإيمان الستة المبيّنة في حديث جبريل المشهور [.

الشرح..

قوله عليه الصلاة والسلام " واعلم أنّ الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيء لم يضُرُّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف " وهذا جاء بعد قوله " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " فلما ذكر هذا الأصل العظيم - بأن لا تسأل إلا الله وألا تستعين إلا به بمعنى أن عبادتك يكون توجّهك بها إلى الله وحده وطلب العون على ذلك يكون من الله وحده- ذكر أمراً يبنى عليه فقال " واعلم أنّ الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيء لم يضُرُّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصُّحف " وهذا يدعو العبد إلى أن يكون تعلقه وتوكله وتفويضه لأمره على الله سبحانه وتعالى وحده .

لا حظ وتأمل هنا فائدة ينفعك الله سبحانه وتعالى نفعاً عظيماً ، وتدرك بها الفرق بين أئمة الهدى وأئمة الضلال ، تدرك بها الفرق بين دعاة الحق ودعاة الباطل ، والحديث يعطيك ميزان دقيق جداً تميز به بين دعاة الحق ودعاة الباطل

عندما يتكلم بعض الناس عن بعض التعلقات الباطلة بالأشخاص وتقديسهم والتعلق بهم في باب السؤال أو الطلب أو الحاجة ، وجعلهم واسطة في العبادة والذكر ؛ أقول في هذا الباب إمام الأئمة وقدوة الخلق والأسوة للأمة { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة } فهو الإمام الأعظم والقدوة والأسوة عليه الصلاة والسلام في كل أمور الدين عقيدةً وعبادةً وخلقاً ؛ تأمل وصيته لابن عباس ؛ هل ربطه عليه الصلاة والسلام بنفسه أم بريه ؟ قال عليه الصلاة والسلام " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنّ الأُمَّة - لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك ؛ "

فالشاهد أنه يدخل في ذلك الرسل . والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} ، ولما حرص على هداية عمه واجتهد في ذلك ومات على غير الإسلام ؛ أنزل الله قوله {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} ، وقال الله تعالى {ليس لك من الأمر شيء} ، وقال عليه الصلاة والسلام في إعلانه العام والخاص : " لا أغني عنكم من الله شيئاً " ، " يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً " .

" وإن اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء " : ينفعوك بشيء في الدين أو الدنيا أو الآخرة .

" وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء " : بشيء في الدين أو الدنيا أو الآخرة .

فلا حظ أن النبي عليه الصلاة والسلام ربطه بالله سبحانه وتعالى .

فأتباع النبي صلى الله عليه وسلم على جادته { قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } هو عليه الصلاة والسلام وأتباعه دعاة إلى الله وليسوا دعاة إلى أنفسهم ؛ وهنا تدرك الفرق الدقيق العظيم بين دعاة الحق ودعاة الباطل ؛ دعاة الباطل من الطرقية وغيرهم يربطون الناس بأنفسهم ، ويدعون الناس إلى تعظيمهم ويدعون الناس إلى عبادة الله من خلال أشخاصهم وذواتهم أحياء وأمواتاً ، ويربطون المرادين بهم ؛ حتى إن شخصاً من هؤلاء من الله عليه بالتوبة والهداية يقول : " كنت مرتبطاً مع شيخ ، وكان يلقني الذكر ويقول : إذا أردت أن تذكر الله لا بد أن تستحضر شخصي وصورتي وإذا استحضرت شخصي تبدأ تذكر الله ، أما عدي فتجلس أمامي وتذكر الله من خلالي ..! ويقول : أردت السفر فجنث إليه ، وقلت له أي سأسافر الآن سافراً قد يطول ؛ قال له تعال إليّ غداً ؛ فجاءه من غد وأعطاه صورة له ؛ قال خذها معك وإذا أردت أن تذكر الله تنظر إلى الصورة وتذكر الله من خلالها .. ! "

فهؤلاء دعاة الضلال الذين يربطون الناس بأشخاصهم .

وأحد هؤلاء الضلال يقول لأتباعه : لا عليكم يوم القيامة سأبصق على النار وستصبح حشيشاً أخضراً .. فمثل هؤلاء لا يَصِلُهُمُ بالله ؛ وإنما يصلهم بشخصه تعظيماً له واعتقاداً به وتبركاً وسؤالاً ورغباً ؛ حتى إن بعضهم يقول : إذا أصبت بهم أو كرب ؛ فقط تأتي وتجلس أمام الشيخ ولا تكلمه بشيء فهو يعلم ما في قلبك ، ويطلع على ما نفسك ... ، ومثل هذه القصص كثيرة جداً

مما يُذكر مثال على هذا المنوال أن أحدهم ذهب إلى بعض الشيوخ - هذه قصة قديمة ذكرت في أحد الكتب - وقال أريد الجنة ؛ يقول فسكت الشيخ ثم قال : أعطيك الجنة ببستانك . الرجل كان يملك بستاناً .

؛ فقال : قبلت ، قال : تكتب لي بذلك كتاباً ؛ فكتب له كتاباً : أني أنا فلان أعطيت فلاناً الجنة ، يحدها جنة المأوى ، ويحدها كذا وكذا ، بغلمانها وحورها وأنهارها وأشجارها، أخذ الورقة وأعطاه البستان ، وطلب من أولاده إذا مات أن يدفنوا معه هذه الورقة ؛ فهذا كله ضلال ، ويستغلون العوام والجهال وصغار الأحلام وسفهاء الأحلام ويضللوهم ، ويجعلونهم يتعلقون بهؤلاء لأنهم يربطون البركة ، يقولون أن البركة لا تنال إلا من الشيخ ، ويقعون في مظاهر من تقديس الأشخاص بسبب الإضاعة ، وأقول مثل هؤلاء العوام لو أنهم رزقوا بعالم ناصح حفظهم هذا الحديث ؛ ما انطلت عليهم كل هذه الأباطيل وكل هذا الركام من الضلال ، لو حفظوه وفهموه و وعوه كل أباطيل أولئك ما ينطلي منها شيء ، لكن يستغل أولئك جهل هؤلاء وعدم علمهم ، ويغرسون فيهم أن البركة في الشيخ وإذا أردت كذا فمن الشيخ ... ، وقد وصل الحال ببعضهم أن المرید ليلة زواجه يأتي بزوجه قبل أن تُفتض بكارتها ؛ يأتي بها إلى الشيخ ويلتمس منه أن يبارك له زوجته ؛ فيخلوا الشيخ بها ويفتض بكارتها من أجل البركة ، ثم تخرج من عنده وقد افتض بكارتها والتلميذ يرمي رأسه عند قدم الشيخ ويقبل قدمه على هذا الجميل العظيم والإحسان الكبير ، وربما أعطاه على ذلك مالاً !!! .. فهذا الحديث يعطي معيار لكيف يميز الإنسان بين دعاة الحق ودعاة الباطل ؛ الذي يدعو الناس إلى تعظيم شخصه ويأتون له الأتباع بوساده ويضع عليها يده لأنها لو بقيت مرفوعة والعشرات يقبلونها تعب فيضعون له الوسادة حتى لا يتعب .. فيقبلون يده التماس للبركة وإن لم يتمكنوا من تقبيل يده قبلوا عصاه ؛ عصى الشيخ مباركة والبركة تشمل الشيخ وكل ما لامسه وهكذا يتعلق العوام مثل هذه التعلقات الباطلة .

إمام الأئمة والقدوة الأعظم وأسوة الناس إلى من يدعو ؟ يدعو إلى الله ؛ قال " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " ، أبو بكر الصديق لما مات محمد صلى الله عليه وسلم ماذا قال ؟ قال : " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " ، والله تعالى يقول في القرآن { وتوكل على الحي الذي لا يموت } .

[الخامس : قوله " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " المعنى أن من أخلص عمله لله في حاله رخاءه وسعته يجد الخير من الله ودفع الضر عنه في حال شدته وكرهه كما قال الله عز وجل {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} ، وقال {فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون} ، وكما في قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت في الغار فانحدرت بهم صخرة وسدت بهم الغار ؛ وتوسلوا إلى الله عز وجل بأعمالهم صالحة ، عملوها في حال رخائهم ، فتوسل أحدهم ببره والديه ، وتوسل الثاني بحفظه للأمانة وتنميتها وردها لصاحبها ، وتوسل الثالث بتركه الفاحشة من أجل الله بعد قدرته عليها ؛ فكشف الله ما بهم من كرب وأزال ما حل بهم من ضرر ؛ فتزحزحت الصخرة حتى تمكنوا من الخروج من ذلك الغار " رواه البخاري ومسلم] .

الشرح..

قوله " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " : معناه أن من أخلص لله وحسن إقباله على الله في رخاءه فإن الله سبحانه وتعالى يكون معه في حال شدته بالحفظ والتوفيق والتسديد ؛ وهذا الشواهد عليه كثيرة، ومنها هذه الشواهد التي استمعنا إليها

[سادساً قوله : " واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك " : المعنى أن ما قدر الله سلامتك منه فإنه لا يحصل لك وما قدر حصوله لك فلا بد من وقوعه ، لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء قدر الله حصوله لا بد أن يوجد ولا يتخلف وكل شيء لم يقدر لك لا سبيل إلى حصولك عليه ووصولك إليه] .

الشرح..

لأن قضاء الله عز وجل لا راد له ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، فمشيئته جل وعلا نافذة وقدرته شاملة ، ولا يعجزه تبارك وتعالى شيء في الأرض ولا في السماء ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي هذا المعنى يقول الشافعي رحمه الله في أبيات له :

ما شئتَ كان وإن لم أشأ	وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	وفي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقيّ ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن

ذلك كله بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره ، وأن ما قضاه جل وعلا وقدره لا بد أن يقع طبقاً لما قدر ، فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه سبحانه وتعالى .

[سابعاً قوله "واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً" : في هذه الجمل الثلاث بيان حصول النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وأن الصبر ينتج عنه النصر بإذن الله وأن الكرب والشدة يكشفها الله بالفرج الذي يعقبها وأن العسر يعقبه اليسر من الله عز وجل] .

الشرح..

هذه الجمل الثلاث . وهي قوله عليه الصلاة والسلام "واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً" في بيان أن هذه النتائج والثمار العظيمة لا بد فيها من بذل شيء ؛ وأسباب يقدمها العبد ؛ وهي كما في الحديث أن يصبر ، وإذا اشتد به الكرب أن يقوى رجاءه وثقته بالله سبحانه وتعالى ، وإذا تعسرت عليه الأمور يؤمّل الفرج والتيسير من الله جل وعلا ، ويكون على ثقة بالله ويكون متوكلاً على الله راجياً فيما عنده مؤملاً منه تبارك وتعالى التوفيق والتيسير والنصر ، والأمر كله بيد الله جل وعلا .

[ثامناً مما يستفاد من الحديث :

الأول: أن من حفظ حدود الله حفظه في دينه ودنياه .

ثانياً: أن من أضاع حدود الله لا يحصل له الحفظ من الله كما قال {نسوا الله فأنسيهم} .

الثالث: أن الجزاء من جنس العمل ، فالعمل حفظ والجزاء حفظ .

الرابع: أن العبد يخص ربه بالعبادة والاستعانة .

الخامس: الإيمان بالقدر .

السادس: أن العباد لا ينفعون ولا يضرّون إلا إذا كان النفع والضرر مقدرين من الله .

السابع : أنه لا يحصل لأحد نفعٌ إلا إذا كان مقدراً ولا يندفع عنه ضررٌ إلا إذا كان مقدراً ،

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الثامن : أن الصبر يعقبه النصر .

التاسع : أن الكرب يعقبه الفرج .

العاشر : أن العسر يعقبه اليسر .

الحادي عشر : تواضعه صلى الله عليه وسلم وملاطفته الصغار .

الثاني عشر : التقديم بين يدي ذكر الأمر المهم بما يحفز النفوس إليه لقوله صلى الله عليه

وسلم : " ألا أعلمك كلمات " .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم
على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

..*